الحوار الأسري عند الشيخ علي يحيى معمر من خلال كتابه سمر أسرة مسلمة

أ.د حمو فخار (جامعة غرداية)
hfekhar71@gmail.com
د. سعيد الدبوز (المركز الجامعي إليزي)
said.dabouz@cuillizi.dz

الملخص:

من أسس بناء الأسرة المسلمة المتينة والتي حرص الإسلام عليها إنشاء الأسرة المسلمة وفق مبدأ الحوار الأسري يجمع كل المسلمين أن بتربية أفرادها عليه منذ نشأة الأسرة وليشب أبناؤها عليه منذ نشأتهم، الأمر الذي دفع الشيخ علي يحي معمر لتأليف كتابه **سمر أسرة مسلمة**، ما جعلنا نبحث من خلال هذه المداخلة في إشكالية مدى توفيق الشيخ في إرساء أسلوب الحوار الأسري بين ثنايا كتابه المذكور

وللإجابة على هذه الإشكالية قسمنا مداخلتنا هذه إلى محورين فكان الأول منهما للتعريف بالشيخ علي يحي معمر والثاني لعرض مساعي الشيخ في إرساء وإبراز ضوابط وشروط الحوار الأسري من خلال كتابه سمر أسرة مسلمة، وختمنا مداخلتنا بجملة من النتائج والتوصيات.

الكلمات الدالة: سمر أسرة مسلمة، علي معمر، نالوت، الفكر الاباضي

Abstract:

All Muslims agree that one of the foundations for building a strong Muslim family, which Islam is keen on, is the establishment of the Muslim family according to the principle of family dialogue, by raising its members on it from the beginning of the family, and so that its children grow up on it from the time they are born. This is what prompted Sheikh Ali Yahya Muammar to write his book, **Summer of a Muslim Family**, which made us search for During this intervention on the problem of the extent of the Sheikh's success in establishing the method of family dialogue within the folds of his aforementioned book.

To answer this problem, we divided our intervention into two axes, the first of which was to introduce Sheikh Ali Yahya Muammar and the second to present the Sheikh's efforts to establish and highlight the controls and conditions for family dialogue through his book Summer, a Muslim Family. We concluded our intervention with a set of results and recommendations.

Keywords: Samar Muslim family, Ali Muammar, Nalut, Ibadi thought

المقدمة:

من نعم الله على الإنسان أن رزقه زوجا صالحا يسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة وزرقهما الذرية الطيبة الصالحة التي تعمر البلاد صلاحا وبرا وتقى، وأمر الزوجين بإرساء حياتهما الزوجية وفق دستور شرع الله

المقتبس من نور كتاب الله وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

ومن أسس بناء الأسرة المسلمة المتينة والتي حرص الإسلام عليها إنشاء الأسرة المسلمة وفق مبدأ الحوار الأسري بتربية أفرادها عليه منذ نشأة الأسرة وليشب أبناؤها عليه منذ نشأتهم.

وحتى يكون الحوار الأسري فاعلا وبناء وفق شرع الله فلابد أن يكون بضوابط وشروط يجب على أطرافه والمشاركين فيه الالتزام بها والتقيد به. فإذا ما التزم الجميع بذلك صلح حال الأسرة وسهل على الآباء تربية أبنائهم وعلى الأبناء التواصل الأمثل مع آبائهم فاستقام أمر الأسرة وفشا فيها الصلاح وكان كل واحد منهم قرة عين للآخر.

ولتحقيق هذا المقصد في الأسر المسلمة عامة والليبية خاصة فقد انبرى الشيخ علي يحي معمر – رحمه الله – لإنشاء أسر مسلمة راسخة في عقيدتها الإباضية وذلك من خلال مؤلفه سمر أسرة مسلمة، بأسلوب ميسر لكل فرد مهما كان مستواه العلمي، معتمدا في ذلك أسلوب الحوار الأسري الهادئ والبناء مع إرساء شروطه وآدابه بما ينشر المودة والألفة والانبساط بين أفراد الأسرة المتحاورين.

وبناء على ما سبق كانت مداخلتنا المرتكزة على إشكالية مدى توفيق الشيخ علي يحي معمر في اعتماد أسلوب الحوار الأسري والبناء لتبليغ العقيدة الإباضية والصحيحة لنفوس الناشئة مع التركيز على شروط وضوابط هذا الحوار الهادف والبناء.

وللإجابة على هذه الإشكالية فقد قسمنا مداخلتنا إلى محورين إذ خصصنا المحور الأول منها للتعريف بالشيخ علي يحي معمر – رحمه الله– وبجهوده الإصلاحية في وداي ميزاب بالجزائر، وفي ليبيا إلى أن توفاه الله إليه، في حين تركنا المحور الثاني لعرض أهم ضوابط الحوار الأسري عند الشيخ من خلال كتابه سمر أسرة مسلمة، لنختم المداخلة في الأخير بجملة من النتائج والتوصيات.

وحتى تحقق المداخلة النتائج المرجوة منها فقد اعتمدنا فيها على المنهج التحليلي الاستقرائي والمنهج الوصفي خادما له.

المحور الأول: التعريف بالشيخ علي يحيى معمر

نحاول في هذا المحور عرض بسطة موجزة لسيرة الشيخ من مولده إلى وفاته، مرورا بتعلمه، وأبرز ملامح شخصيته، وما تركه من تراث علمي وأدبي زاخر مطبوعا كان أو مخطوطا أولا، ثم بسطة عن كتابه محل الدراسة سمر أسرة مسلمة ثانيا.

أولا: مولد الشيخ علي يحي معمر ودراسته:

– ولد علي يحي معمر بقرية تكويت قرب مدينة نالوت بليبيا سنة 1919م، من أبوين متوسطي الحال، وفي

عائلة محافظة متدينة.

- تعلم مبادئ القراءة والكتابة في كُتَّاب قريته (تكويت).

- دخل المدرسة الابتدائية التي فتحتها إيطاليا، وأظهر نبوغا مبكرا.

- لازم حلقات الشيخ العالم رمضان بن يحيى الليبي في الفقه الإباضي والذي قدِم ليبيا من جربة، ولشدة تعلقه به فقد لازم شيخه حتى في أوقات فراغه.

- في سنة 1927سافر إلى جربة ملتحقا بحلقات الشيخ رمضان بن يحيى الليني، ثم انتقل بعد ذلك إلى جامع الزيتونة.

- وفي سنة 1937 سافر إلى الجزائر قاصداً معهد الحياة بالقرارة، وفيها حط رحاله إلى جنب أستاذه الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض – رحمه الله – ومن عاضده في مهمة التربية والتعليم أمثال الشيخ أبي اليقظان والشيخ عدون – سعيد بن بلحاج شريفي– وأقام هناك سبع سنين.

- توفي رحمه الله يوم الثلاثاء 27 صفر 1455هـ الموافق 15 جانفي 1980[1]، بعد أن تدهورت حالته الصحية تحت وطأة الضغوط السياسية التي واجهها. رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء آمين [2].

ثانيا: نشاطه وآثاره العلمية

- عندما كان طالباً بمعهد الحياة شارك في جميع أنشطته، من دروس وجمعيات أدبية، وفرق فنية، ورياضية، ومسرحية.

- كانت له مساجلات ومقالات في مجلة الشباب واشتهر بمناصرته للأديب والمفكر عباس محمود العقاد المعروف بأدبه الرزين والمعمق، وبنزعته العقلانية التأملية في كتابة الأدب عموما والفكر خصوصا.

- كانت للشيخ كوكبة من الطلبة تناصره في توجهه العقائدي وتشجعه على الكتابة والرهان ضد جماعة الرافعيين التي رفع لواءها الشيخ محمد علي دبوز، وكانت مساجلاتهم ومعاركهم الأدبية عبر جريدة الشباب التابعة لمعهد الحياة.

- وكان الشيخ بيوض والشيخ عدون يغذيان هذه المساجلات ويثيرونها بين الجماعتين في الخفاء، ولربما

---

[1] تشاء الأقدار الإلهية أن يلحق به أستاذه الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض في الشهر نفسه من السنة الموالية؛ إذ توفي رحمه الله بتاريخ 14 جانفي 1981 ثم ليلحق به منافسه في ساح الأدب الشيخ محمد علي دبوز في السنة ذاتها 13 نوفمبر 1981 رحمهم الله جميعا برحماته الواسعة وأسكنهم الفردوس الأعلى من الجنة.

[2] الشيخ علي يحيى معمر، سمر أسرة مسلمة، تحقيق وتقديم: محمد بن موسى بابا عمي، المطبعة العربية، الجزائر، 1992، ص خ.

تدخلا أحيانا للوساطة بين أحد الأنصار وخصومه من الجماعة الثانية، فكانت لهذه المطارحات والمساجلات والمناظرات أثرها الكبير جدا في أسلوب أنصار كل طائفة وصقل مواهبهم الأدبية وأقلامهم الفكرية، وبالخصوص الشيخ علي يحيى معمر والشيخ محمد علي دبوز، اللذان تركا للمكتبة العربية والإسلامية إرثا تاريخيا وأدبيا كبيرا لا زال يشهد بتبحرهما في مجال الأدب والتاريخ والفكر الإباضي، وفنون التربية والتعليم. [3]

-بعد رجوعه إلى ليبيا سنة 1945م، شرع في الرفع من مستوى الشباب علمياً وفكرياً، وأنشأ مجلة "اليراع" إلا أنها صودرت بعد صدور ثلاثة أعداد منها فقط.

- دخل ميدان التدريس فارتقى فيه من مدرس إلى مدير مدرسة إلى موجه تربوي (مفتش) إلى موثق تربوي، وأخيراً استقر في طرابلس بصفته موظفا ساميا بأمانة التربية والتعليم.

- كان يلقي المواعظ والدروس بالمساجد في جبل نفوسة وغيره من مناطق ليبيا.

- كان شاعراً وأديباً، ومؤرخاً وناقداً، وفوق كل ذلك كان مفتيا ومتخصصا في علوم الشريعة

- له إنتاج غزير في شتى الميادين، بمختلف الأشكال. [4]

ومن أبرز تلامذته نجد الدكتور عمرو خليفة النامي خريج جامعة كامبردج في بريطانيا، والذي كان له دور فعّال ومؤثر في النشاط الطلابي في لندن وليبيا وغيرهما، ونشر الدعوة الإسلامية في بريطانيا وليبيا، متعاونًا مع إخوانه العاملين من الدعاة إلى الله في كل مكان.

1- مؤلفاته:

عرف الشيخ علي معمر منذ مطلع حياته العلمية بقلمه السيال الذي لا يعرف جفافا ولا كبوة، ولا سكونا، وبإنتاجه الغزير، واشتُهر بأسلوبه المتميز الذي يجمع بين الإثارة والبساطة، ويجمع بين مخاطبة العقول والقلوب بطريقة جذابة ساحرة، وذلك شأن أي أديب نهل من معين القرآن الكريم والأدب العربي القديم[5]. وبهذا ترك الشيخ رحمه الله تراثا علميا وأدبيا زاخرا في شتى فنون الأدب والتاريخ والفكر والعقيدة الإباضية ومن تلك الآثار نذكر:

– الإباضية في موكب التاريخ.

---

[3] نقلا عن مقابلة مع الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام، بمكتبة الصفاء ببريان في ديسمبر 2017.

[4] محمد بن موسى بابا عمي، الشيخ علي يحيى معمر في سطور، موقع الاستقامة https://www.istiqama.net/ali-yahya/ali-yahya-bio.htm، بتصرف، تاريخ الاطلاع: 2024/03/28 18:30.

[5] محمد بن موسى بابا عمي ومن معه، معجم أعلام الإباضية، من القرن الأول الهجري إلى عصرنا الحالي، (قسم المغرب الإسلامي)، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، نشر جمعية التراث، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1999، ص 296 وما يليها

- الإباضية بين الفرق الإسلامية.
- سمر أسرة مسلمة.
- الميثاق الغليظ.
- الفتاة الليبية ومشاكل الحياة.
- الأقانيم الثلاثة أو (آلهة من الحلوى).
- الإسلام والقيم الإنسانية.
- فلسطين بين المهاجرين والأنصار.
- أجوبة وفتاوى.
- صلاة الجمعة.
- أحكام السفر في الإسلام.
- مسلم، ولكنه يحلق ويدخّن.
- الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.
- الحقوق في الأموال.
- الإباضية مذهب إسلامي معتدل.
- ثلاثة دواوين شعر. (ولكنه أحرقها ولم يبق من شعره إلا ما نشر في الصحف والمجلات).
- مسرحية (ذي قار).
- مسرحية "محسن".

كما كان للشيخ علي يحيى معمر تعليقات، وتحقيقات لبعض كتب التراث، نذكر منها:

- تعليق على كتاب الصوم من تأليف أبي زكريا يحيى الجناوني (مطبوع).
- تعليق على كتاب النكاح من تأليف أبي زكريا يحيى الجناوني (مطبوع).
- تقديم لكتاب سير مشايخ نفوسة، وهو من تحقيق الدكتور عمرو النامي (مطبوع).

وله مقالات وبحوث كثيرة نشرها في المجلات العربية، نذكر منها:

- مجلة (الشباب) لمعهد الشباب بالقرارة.
- مجلة (المسلمون)، يصدرها المركز الإسلامي بجنيف سويسرا.
- مجلة (الأزهر) يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر القاهرة.
- (الأسبوع السياسي) و(المعلم)، تصدران بطرابلس ليبيا.

– (الرسالة)، يصدرها أحمد حسن الزيات، بالقاهرة.

وله مراسلات عدة مع مشايخه ومعاصريه: أمثال الشيخ بيوض، والشيخ أبي اليقظان، والشيخ عدون شريفي– رحمهم الله جميعا– ولو جُمعت لكوّنت مجلدًا ضخمًا، وهي تعدّ وثائق تاريخية مهمّة [6].

ثالثا: علي يحيى معمر ودعوته لوحدة الأمة

الشيخ علي يحيى معمر كما وُصف أنه شخصية جذّابة، يزينه وقار العلماء وهيبة المشايخ الأجلاء، وسِمة المسلم الخلوق، وطلاقة المحيا، وبشاشة الوجه وحسن الحديث والذوق الرفيع والأدب الجم والتواضع والبساطة، وسعة الاطلاع على أحوال المسلمين جميعا ومشكلاتهم، وبذل الجهد المستطاع لمساعدتهم، وبخاصة عن طريق التعليم والتربية. وكان يدعو إلى التقارب ونبذ الخلاف والتخلي عن العصبية المذهبية وإلى التسامح وفتح باب الاجتهاد والدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

هو أول من وضع للفرق الإسلامية المعاصرة نظرية (المعرفة والتعارف والاعتراف) في مقدمة كتابه (الإباضية بين الفرق الإسلامية) إذ يقول : "... **إن المذهبية في الأمة الإسلامية لا تتحطم بالقوة ولا تتحطم بالحجة ، ولا تتحطم بالقانون ، فإن هذه الوسائل لا تزيدها إلا شدة في التعصب وقوة في رد الفعل، وإنما تتحطم المذهبية بالمعرفة والتعارف والاعتراف؛ فبالمعرفة يفهم كل واحد ما يتمسك به الآخرون ، ولماذا يتمسكون به، وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات، وبالاعتراف يتقبل كل واحد منهم مسلك الآخر برضى ويعطيه مثل الحق الذي يعطيه لنفسه (اجتهد فأصاب أو اجتهد فأخطأ) وفي ظل الأخوة والسماح تغيب التحديات، وتجد القلوب نفسها تحاول أن تصحح عقيدتها وعملها بالأصل الثابت في الكتاب والسنة، غير خائفة أن يقال عنها تركت مذهبا أو اعتنقت مذهباً. ولن نصل إلى هذه الدرجة حتى يعترف اليوم أتباع جابر وأبي حنيفة ومالك والشافعي وزيد وجعفر وأحمد وغيرهم ممن يقلدهم الناس أن أئمتهم أيضا يقفون في صعيد واحد لا مزية لأحدهم على الآخرين إلا بمقدار ما قدم من عمل خالص.**"[7].

المحور الثاني: الحوار الأسري وأهميته عند الشيخ علي يحيى معمر

وقبل الانطلاق في تبيان أهمية الحوار الأسري وضوابطه عند الشيخ علي يحي معمر رحمه الله من خلال كتابه سمر أسرة مسلمة يجمل بنا أن نعرج على المقصود بالحوار الأسري أولا، ثم على بسطة تعريفية مختصرة لكتابه المذكور آنفا والذي هو محل دراستنا هذه.

---

[6] محمد بن موسى بابا عمي ومن معه، معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق.

[7] الشيخ علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الجزء الأول، 1406هـ–1986م، الجزء الأول، ص5، 6.

أولا: المقصود بالحوار الأسري

إن الحوار مع الأبناء شكل من أشكال الفهم والتفاهم، وهو ليس سؤالا وجوابا فحسب، بل هو إضافة كبيرة للطفل تستهدف بناءه.

ولا بد أن يقوم الحوار بين الوالدين مع أبنائهما على أساسين هامين هما:

- احترام الأبناء في حوارهما مع الوالدين.

– فهم الوالدين للأبناء ومشاركتهم آمالهم وآلامهم. [8]

ثانيا: بسطة تعريفية لكتاب سمر أسرة مسلمة أنموذجا:

هو من تأليف الشيخ علي يحيى معمر، وتحقيق الأستاذ محمد بن موسى بابا عمي، وطباعة المطبعة العربية، طبع أول مرة بتاريخ 1992 أي بعد 12 سنة من وفاة الشيخ – رحمه الله–.

يتكون الكتاب من مقدمة، وعنصر حفلة عيد الميلاد، واثني عشر عنصرا، وخصص لكل عنصر ليلة يناقش فيها قضية أو أكثر من قضايا العقيدة الإسلامية الإباضية، وكل ذلك في حوالي 210 صفحة من الحجم العادي (21.5/15 سم).

وقد ألف الشيخ علي يحي معمر هذا الكتاب لتصحيح العقيدة وترسيخها في نفوس الناشئة بعد إلحاح عليه من طلبته حين لاحظوا آنئذ خلو الساحة التربوية من كتاب مبسط وبأسلوب شيق يبسط العقيدة الإباضية الصحيحة للآباء وأبنائهم، هو ما صرح به في مقدمة الكتاب بقوله: "**كان كثير من أبنائي طلاب المدارس في المرحلتين الإعدادية والثانوية يناقشونني في بعض مسائل التوحيد ويطلبون إلى أن أدلهم على الكتب التي يرجعون إليها في دراسة هذه المواضيع، فكنت أرشدهم إلى بعض ما أعرف من الكتب، ولكنهم سرعان ما يعودون إليّ متألمين، يذكرون أن أساليب تلك الكتب تلتوي على أفهامهم، وتستعصي على مداركهم لا سيما وأنهم لم يدرسوا علم الكلام على مشايخه، ولم يعرفوا كثيرا من المصطلحات الفنية التي ترد في تلك الكتب**".[9]

وعبّر عن شعوره تجاه هذه القضية بقوله: "**وكنت أتألم لألم أولئك الطلاب الذين يبحثون عن الهداية ويتلمسون طريق المعرفة، فتصدهم عقبات لا يقوون على تذليلها، وفكرت في الموضوع تفكيراً جديا حينما زارني جمع منهم إلى بيتي وحملوني مسؤولية تذليل هذه العقبة أمامهم وأمام زملائهم الكثيرين**".[10]

ومن يقرأ الكتاب أول الأمر يستغرب أن يبدأ الشيخ كتابه في العقيدة بالاحتفال بأعياد الميلاد والمشاركة فيها،

---

[8] حمو فخار، المرشد في تربية الأولاد، للعالمين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص65.

[9] الشيخ علي يحيى معمر، سمر أسرة مسلمة، ص 5.

[10] المصدر نفسه.

وهي من أعياد النصارى والمشركين وتقاليدهم، والنهي صريح من الله عز وجل المشاركة فيها واتباع هذه التقاليد؛ إذ في ذلك موالاة لهم لقول الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [المائدة. 51] وقوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** [المائدة. 57].

إلا أن الكاتب ابتدأ كتابه – في رأينا– بما اعتاد عليه الناشئة من عادات وتقاليد شاعت في أوساط المجتمع ثم يرجع عليها بالنقد والتصويب أو التثمين، وهو ما فعله في الليلة الثانية من الكتاب حينما بيّن لابنه حكم الاحتفال بأعياد النصارى بعد أن بلغ سن الرجولة وأصبح يفرق بين الصواب والخطأ اعتمادا على ميزان العقيدة.

وبناء على ما سبق فالكتاب محل الدراسة وضعه صاحبه في العقيدة الإباضية مع تغذية القارئ بأهم الآداب الإسلامية، والمربين بأبرز نظريات التربية والتعليم التي تعتمد في جلّها على أسلوب الحوار مع الطفل المتربي لدفعه للاقتناع بما ينقل إليه من معارف وتربية وعلوم، كل ذلك بأسلوب أدبي ميسر وشيق.

وقد اعتمد في كتابه موضوع الدراسة على أسلوب الحوار، وهو ما صرح به في مقدمة الكتاب بقوله: "**وقد رأيت أن أسوق المباحث على طريقة الحوار ظنا مني أنها قد تكون أخف على الطالب وأشوق له لكي يواصل القراءة**"[11]

ولأنه اعتمد أسلوب الحوار في تقديم المادة العلمية لكتابه للناشئة في أسلوب شيق وجذاب؛ فقد اضطر للدخول في بعض المناقشات التي لا غنى للقارئ عنها وهو ما نستخلصه من قوله – رحمه الله – " **قد يجد القارئ الكريم بعض المناقشات عن مسائل لا تتعلق بالتوحيد، إلا أنها تدخل في الثقافة الإسلامية العامة ساقني إليها أسلوب الحوار الذي اعتمدت عليه في الكتاب وارتباطها ارتباطا قويا أو ضعيفا بأصل الموضوع**".[12]

وأسلوب الحوار المعتمد ظهر جليا وكأنه بين أستاذ (الأب) وطلبته (الأم والابن النجيب)، لينقل الكاتب للناشئة من خلال أسلوب العرض والسؤال من الأب المعلم للناشئة مسائل القضايا والعقيدة من فم الأب لا الأستاذ، وكأنه أب واحد منهم وهو الأقرب للطفل المتعلم، مقارنة بالمعلم الذي قد يكون بينه وبين المتعلم هوة وبُعدا يحول بين وصول المقاصد العقدية لنفس المتلقي الناشئ.

وفي الحوار السابق ذاته يلاحظ على أن الأم نزلت في الكثير من الأحيان إلى مستوى ابنها لتكون في مرتبة المتعلم مشاركة منها له في تلقّي أصول العقيدة الإباضية، وتشجيعا له على التلقي والتركيز والسؤال متى

(11) المصدر نفسه، ص6.

(12) المصدر نفسه، ص6.

أشكلت عليه قضية من القضايا، وهو ما يعرف في علم النفس التربوي بتبادل الأدوار.

كما أنه اعتمد أسلوب السرد القصصي الجذاب للناشئة والمساعد في تثبيت المعلومات في عقولهم وهو ما نلمسه صراحة في عنصر حفلة عيد الميلاد.

وللوصول إلى المادة العلمية لهذا الكتاب فقد اعتمد على عدة مراجع ذكرها في مقدمة كتابه محل الدراسة منها: **عقيدة التوحيد وشروحها، وكتب فيلسوف الإسلام الشيخ أبي طاهر الجيطالي، في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، مسند الربيع بن حبيب.** [13]

وقد وجد دعما من أستاذه الشيخ عدون سعيد بن بلحاج شريفي – رحمه الله – في اعتماده أسلوب الحوار في تقديم مادة الكتاب، وذلك بعد عرض بعض فصول الكتاب عليه فاستحسن ذلك وصوّبه، ما دفعه ليأمر بالمسارعة في طبع الكتاب، وهو ما صرح به في مقدمة الكتاب موضوع الدراسة" ... **اللهم إلا بعض الفصول قرأتها على أستاذي الفاضل الشيخ عدون بن بالحاج ونحن في السيارة ننتقل بين بعض المدن من وادي ميزاب العامر، وقد استحسن – حفظه الله ورعاه– طريقة العرض وأسلوب الكتاب**".[14]

ثالثا: ضوابط الحوار الأسري عند الشيخ علي يحي معمر

من خلال كتاب سمر أسرة مسلمة يتضح لنا بجلاء أن الشيخ مؤمن بأهمية الحوار في تربية النشء وتوطيد العلاقات الأسرية بين الأبوين وأبنائهما، خاصة في ظل احترام ضوابط وآداب الحوار الهادئ والبناء وهو ما نستخلصه من عدة شواهد من الكتاب:

– **اختيار التوقيت والمكان المناسبين للحوار** بما يجعل المشاركين في الحوار (أفراد الأسرة المسلمة) يشعرون بالراحة والانتباه لما يعرض في جلسة الحوار، بعيدا عن كل المنغصات الجسدية والخارجية كالتعب، وتزامن الحوار مع أوقات عمل أو لعب الأطفال في المنزل... وهذا من أهم أسباب ضمان نجاح الحوار الأسري خاصة إذا ارتبط بنجاح تطبيق بقية الضوابط والشروط الأخرى، ولذلك اختار الكاتب وقت سهرات الليل، ونظنها في الشتاء المعروفة بطولها، وحاجة السمار فيها لكؤوس شاي واجتماع في الغرف طلبا للدفء والراحة، وهو ما نجد في بداية كل ليلة من ليالي الكتاب.

– **استعمال أفعال النداء للفت انتباه السامع والمخاطب:** وهو ما نجده مثلا من قوله على لسان الأب مناديا ابنه نجيب.

–**المناوبة:** وهذا جلي في كل حوار في الكتاب، ويجب أن يحضر هذا الشرط أو الضابط طالما أن المادة

---

[13] الشيخ علي يحيى معمر، سمر أسرة مسلمة، المصدر السابق، ص6.

[14] المصدر نفسه، ص 6، 7.

المعروضة للنقاش والحوار هي قضايا عقدية تتطلب اقتناعا ولا يتأتى هذا إلا بالصبر على المخاطب وعدم مقاطعته حتى يتمّ فكرته ويضمن وصولها لذات المتلقي، وهو ما تعنى به العقيدة الإسلامية عموما أخذا من الأسلوب القرآني في الحوار والمناظرة كما حدث بين الرسل وأقوامهم...

– **اختيار الألفاظ الموحية والمؤدية للمعنى:** خاصة عند مخاطبة المستمع بعيدا عن السخرية والهمز والتنابز والتوتر والانفعال السيء.

– **استعمال لغة العاطفة:** وذلك من أجل ضمان وصوله إلى قلوب المخاطبين، حتى يعمها الحوار الهادئ والبناء وبالتالي استقرارها وهو ما نستخلصه مثلا من قول الأب في الليلة الثانية من الكتاب " **مال الوالد بظهره إلى مسند الكرسي المريح، ثم التفت إلى زوجه الحبيبة وقال: ما رأيك لو أعددت لنا كوبا من الشاي الأحمر الخفيف، فإن حديثنا سيطول، وسمرنا الليلة سيمتد.**

قالت الزوجة: إني على استعداد لإحضار كل ما تطلبان.. فأنتما لا تزالان في عيدي نجيب ولدي الحبيب. فضحك الولد وقال..."[15].

ومن ثمرات الحوار الهادئ والبناء أولا ونشوء الأسرة المتحاورة على أسس شرعية ثانيا، فإننا نلاحظ ذلك التعبير الراقي بالحب بين الزوجين أمام ابنهما في أدب واحترام دون تجاوز للحدود أمامه بالدعاء لبعضهما أمامه، وهو ما نتنسمه من أريج الليلة السادسة في آخرها قبل انفضاض الاجتماع.

" **قال الأب: بارك الله لك في أمك يا بني وبارك لها فيك. قالت الأم: وبارك الله لي في زوجي الحبيب ولنجيب في أبيه** ".[16]

كما نستعذبه أكثر من مجريات الليلة الثالثة حينما خاطب الزوج المعلم زوجته الحبيبة في رقة وعذوبة بالغتين"

قال الأب: أيتها الزوجة الفيلسوفة لقد وضعت أمامنا إبريق الشاي على الموقد من أول الجلسة، ثم تشاغلت عنا بالمناقشة والحوار، وإني أخشى أن تكون النار قد انطفأت، وأن يكون الشاي قد برد.

قالت الأم: إنني لم أتشاغل عنكم ولا عن الشاي كما ظننت، ولكن يظهر أنك خشيت أن نستمر نحن في النقاش فيستولي عليك السأم ثم النعاس.

قال الأب: سامحك الله أيتها الزوجة الصالحة أن المرأة لا يمكن أن تحسن الظن أبداً.

قال نجيب: الحق إن متعة النقاش أنستني الشاي.

وأخذت الأم الإبريق فملأت ثلاثة أكواب أعطت منها لزوجها وولدها وأخذت لنفسها، وارتشف الزوج الرشفة

---

(15) الشيخ علي يحي معمر، سمر أسرة مسلمة، المصدر السابق، ص 27.

(16) المصدر نفسه، ص 99.

الأولى، ثم اتجه إلى زوجه وقال لها: سلمت يداك، إن ما تقولينه وما تصنعينه جميعا ممتع وشيق.

قالت الزوجة: صدَّق الله قولك، وحقَّق ظنك، وأقدرني على إرضائك [17].

– **إعمال العقل:** وهو ما نلمسه بجلاء في حوار الليلة الثانية في قول الكاتب على لسان الأب المعلم الحكيم لابنه المتعلم الناشئ "... **وأن تكون هذه العقيدة مبنية على ما وصلت إليه واقتنعت به، بعد تفكير واستعمال للعقل، فلما صرحت بأنك تؤمن بالخالق الأعظم للكون نتيجة لما تراه من آثار الخلق والطبيعة، وأعلنت أنك اخترت الإسلام دينا لك، علمت أن الله يسر لك الهداية والتوفيق، ولم يبق لك إلا أشياء يسيرة يجب عليك أن تعرفها وتؤمن بها وتعمل بمقتضاها حتى يتم إسلامك**[18].

– **إشاعة جو المرح:** وذلك بزرع البسمة بين أفراد الأسرة من خلال تبادل الزوجين للنكت اللاذعة والمبهجة بينهما والحب الصافي يملأ قلبيهما، من غير تنابز ولا تطاول، وهو من أهم أسباب تمتين الوشائج وإزالة الفوارق والقضاء على سائر المنغصات، كما أن هذا الأسلوب يزيل من النفوس تعبها إن كانت النكتة من شخص حبيب، وهو ما نستعذبه من قول الكاتب على لسان الزوجة الحكيمة العاقلة " **كما أنها لا تريد أن تكون هدفاً لنكت زوجها اللاذعة**"

– **مراعات مشاعر الأبناء:** وهذا لا يكون إلا بناء على تربية على حوارٍ هادئٍ وبناءٍ إذ تفسح لهم المجال للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم بالحب والامتنان تجاه والدهم دون خجل أو خوف من أحد، "... **وافتتح نجيب الحديث فقال: إنني لا أستطيع مهما حرصت أن أقوم بحقكما علي أيها الوالدان العزيزان**".

– **تكريس خلق الاعتذار عند الخطأ:** وهو ما نشعر به بجلاء من اعتذار الابن نجيب في آخر الليلة الثالثة " **إنني أعتذر إذ لم ألمح ذلك عليك...**" وذلك لا يكون منه إلا بناء على تربية سبقت إليه من والديه عليها، وثقافة الاعتذار وقبوله بين أفراد الأسرة من أبرز ثمرات الحوار التربوي الهادئ والبناء.

---

[17] المصدر نفسه، ص49.

[18] الشيخ علي يحي معمر، سمر أسرة مسلمة، المصدر السابق، ص28.

الخاتمة:

بناءً على ما جاء في هذه الورقة البحثية نخلص إلى أن الشيخ علي يحيى معمر – رحمه الله– جمع إلى جانب تواضعه وغزارة علمه صفات عديدة، ولعل أبرزها بعد النظر وسعة الأفق، فنجده في جميع أعماله يدعو إلى وحدة صف المسلمين ونبذ الخلافات الطائفية والذهبية والمصالح الأنانية الضيقة.

كما ترك للمكتبة الإسلامية العديد من البحوث والمؤلفات المتميزة بالعرض الجيد، والتحليل العميق. هذا عدا مقالاته وقصائده التي نشر بعضًا منها بالصحف العربية ونشر بعضها الآخر في مجلة (الشباب) الصادرة بمعهد الشباب في الأربعينيات.

هذا كما اتضح لنا أهمية الحوار الأسري عند الشيخ علي يحيى معمر وذلك من خلال كتابه سمر أسرة مسلمة محل الدراسة؛ حيث بيّن الشيخ أن من أهم ثمرات الحوار الهادئ والبناء أن تنشأ الأسرة المتحاورة على أسس شرعية. كما اتضح لنا من خلال مؤلفاته خاصة سمر أسرة مسلمة أن الشيخ علي يحيى معمر – رحمه الله– كان موسوعة في التربية والفكر والتاريخ الإباضي، اجتهد في بسط العقيدة الصحيحة التي تبناها الإباضية للناشئة في أسلوب تربوي وأدبي جذاب مقرب لنفوس الناشئة بما يجعلهم يقبلون على قراءته في أجواء أسرهم المفعمة بالحب والصفاء.

وكتاب سمر أسرة مسلمة يزخر – فوق كونه مرجعا للأسر الإباضية في العقيدة الإباضية المعتدلة– بأخلاق إسلامية وجب على كل فرد من أفراد الأسرة المسلمة عموما أن تتحلى بها ليعم الاستقرار الأسري ربوع بيوتها، **لنقول من خلال كل هذا أن الشيخ – رحمه الله– قد وفّق إلى حد بعيد جدا في اعتماد أسلوب الحوار الأسري الهادئ والبناء مع تضمينه إياه بأهم ضوابطه وشروطه من خلال التزامه بها في كتابه، ناقلا إياها لكل قارئ للكتاب في أسلوب بأسلوب أدبي راق وسلس وممتع، لينهيه القارئ مستفيدا من مادته العلمية والعقدية المعروضة، ومن آدابه وخلقه الرفيع المنثور في كل ثنايا الكتاب.**

وبرجوع الأزواج في الأسر المسلمة المعاصرة إلى كتاب سمر أسرة مسلمة ستذوب كل الخلافات الأسرية وتزول الفوارق وتتحد النفوس وتذوب جميعا في بوتقة العقيدة الإباضية الصحيحة، ما يكون سببا جوهريا في إخراج نشء مؤمن بربه حق الإيمان متمسك بعقيدته، ومتخلق بآداب نبيه الكريم، وكل ذلك من خلال وعينا جميعا بأهمية كتاب " سمر أسرة مسلمة" في تحقيق كل ما ذكر من أهداف سامية ونبيلة غيرها.

وبناء على ما سبق فإننا نخلص إلى جملة من الاقتراحات التي نراها من الأهمية بمكان نذكر منها:

– إعادة طباعة كتاب سمر أسرة مسلمة ونشره على كل مقبل على الزواج يطالعه مع زوجه وولده خاصة في زمن التحديات العقدية والأيديلوجية الفاسدة والمتطرفة والزائغة والتي تدفع الأسر المسلمة للوقوع في فخ الانحلال

والتصدع والانحراف.

– اعتماد كتاب سمر أسرة مسلمة كمرجع تربوي في المدارس القرآنية الإباضية في أي مكان من المعمورة، طالما أن مؤلفه يعدّ من رواد الفكر التربوي المعاصر، وهذا ما يضمن إقبال التلاميذ عليه.

– عقد فعاليات علمية لدراسة كتاب سمر أسرة مسلمة من أبعاده الفكرية والتربوية والعقدية والتاريخية وحتى النفسية والأسرية، ونشر تلك الأعمال في الساحة الفكرية واقعيا وافتراضيا حتى تعم الفائدة في شتى بقاع الأرض وبمختلف اللغات.

– المسارعة إلى طباعة سلسلة الأعمال الكاملة للشيخ علي يحي معمر، وإخراجها في حلة ورقية قشيبة تسر الناظرين، كما فعلت ذلك جمعية الاستقامة بنشرها لنماذج من فكره وأدبه وتاريخه في موقعها الالكتروني؛ إذ من المؤسف أن تكون جل المؤلفات التي وضعها رهن الأرفف والنسيان، ولم يطبع منها إلا النزر اليسير، ولذلك ظهرت دعوة للسعي في جمع إنتاجه تحت عنوان: (الأعمال الكاملة للشيخ علي بن يحيى معمر).

المصادر والمراجع:

الكتب:

- الشيخ علي يحيى معمر، سمر أسرة مسلمة، تحقيق وتقديم: محمد بن موسى بابا عمي، المطبعة العربية، الجزائر، 1992.
- الشيخ علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الجزء الأول، 1406هـ–1986م، الجزء الأول.
- حمو فخار، المرشد في تربية الأولاد، للعالمين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.
- محمد بن موسى بابا عمي ومن معه، معجم أعلام الإباضية، من القرن الأول الهجري إلى عصرنا الحالي، (قسم المغرب الإسلامي)، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، نشر جمعية التراث، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1999

المواقع الالكترونية:

– محمد بن موسى بابا عمي، الشيخ علي يحيى معمر في سطور، موقع الاستقامة https://www.istiqama.net/ali-yahya/ali-yahya-bio.htm، بتصرف، تاريخ الاطلاع: 2024/03/28 18:30

المقابلات:

مقابلة مع الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام، بمكتبة الصفاء ببريان في ديسمبر 2017